إخفائه[١] عليهم، طوى علم ذٰلك عن جميع الخلق واستأثر بعلمه فقال: ﴿إلى ربك منتهاها﴾؛ أي: إليه ينتهي علمها؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿يسألونَكَ عن الساعة أيَّانَ مُرْساها قل إنَّما علمُها عند ربِّي لا يُجَلِّيها لوقتها إلَّا هو﴾.

﴿٤٥ ـ ٤٦﴾ ﴿إنَّما أنت منذرُ مَنْ يَخْشاها﴾؛ أي: إنَّما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة ويخاف الوقوف بين يدي الله[٢]؛ فهم الذين لا يُهِمُّهم إلَّا[٣] الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما مَنْ لم[٤] يؤمن بها؛ فلا يُبَالى به ولا بتعنُّته؛ لأنَّه تعنتٌ مبنيٌّ على التَّكذيب والعناد[٥]، وإذا وصل إلى هٰذه الحال؛ كان الإجابة عنه عبثاً، ينزَّه أحكم الحاكمين عنه[٦].

تمت. والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ [٧]وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

سببُ[٨] نزول هٰذه الآيات الكريمات أنَّه جاء رجلٌ من المؤمنين أعمى[٩] يسألُ النبيَّ ﷺ ويتعلَّم منه، وجاءهُ رجلٌ من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هداية الخلق، فمال ﷺ وأصغى إلى الغنيِّ وصدَّ عن الأعمى الفقير؛ رجاءَ لهداية ذٰلك الغنيِّ وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهٰذا العتاب اللطيف فقال:

---

(١) في (ب): «خفائه».
(٢) في (ب): «بين يديه».
(٣) في (ب): «سوى».
(٤) في (ب): «من لا».
(٥) في (ب): «على العناد والتكذيب».
(٦) في (ب): «ينزه الحكيم عنه».
(٧) في (أ): إلى قوله: ﴿فأنت عنه تلهى﴾. وفي (ب) ذكر الآيات.
(٨) في (ب): «وسبب».
(٩) وهو عبد الله بن أم مكتوم؛ كما في «سنن الترمذي» (٣٣٣١) والحاكم (٢/ ٥١٤).

﴿١ ـ ١٠﴾ ﴿عبس﴾؛ أي: في وجهه، ﴿وتولَّى﴾: في بدنه لأجل مجيء الأعمى له. ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وما يدريكَ لعلَّه﴾؛ أي: الأعمى، ﴿يَزَّكَّى﴾؛ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة ويتصف بالأخلاق الجميلة، ﴿أو يَذَّكَّرُ فَتَنفعهُ الذِّكرَى﴾؛ أي: يتذكَّر ما ينفعه فينتفع[1] بتلك الذِّكرى، وهٰذه فائدةٌ كبيرةٌ، هي المقصودة من بعثة الرسل ووعظ الوعَّاظ وتذكير المذكِّرين؛ فإقبالُك على مَنْ جاء بنفسه مفتقراً لذٰلك مقبلاً[2] هو الأليقُ الواجب، وأما تصدِّيك وتعرُّضِك للغنيِّ المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير مع تركك مَنْ[3] أهمُّ منه؛ فإنَّه لا ينبغي لك؛ فإنَّه ليس عليك أن لا يَزَّكَّى؛ فلو لم يَتَزَكَّ؛ فلست بمحاسبٍ على ما عمله من الشرِّ، فدلَّ هٰذا على القاعدة المشهورة؛ أنَّه لا يُترَك أمرٌ معلومٌ لأمرٍ موهوم، ولا مصلحة متحقِّقة لمصلحة متوهَّمة، وأنَّه ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه الحريص عليه[4] أزيد من غيره.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[5].

﴿١١ ـ ١٦﴾ يقول تعالى: ﴿كلاَّ إنَّها تذكرةٌ﴾: أي: حقًّا إنَّ هٰذه الموعظة تذكرةٌ من الله يُذَكِّر بها عباده ويبيِّن لهم في كتابه ما يحتاجون إليه ويبيِّن الرُّشد من الغيِّ؛ فإذا تبيَّن ذٰلك؛ ﴿فَمَن شاء ذَكَرَه﴾؛ أي: عمل به؛ كقوله تعالى: ﴿وقلِ الحقُّ مِن ربِّكم فَمَن شاء فَلْيُؤْمِن ومَن شاءَ فَلْيَكْفُر﴾. ثم ذكر محلَّ هٰذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿في صحفٍ مكرمةٍ. مرفوعةٍ﴾: القدر والرتبة، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: من الآفات وعن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي ﴿بأيدي سفرةٍ﴾: وهم الملائكة الذين هم سفراء بين الله وبين عباده، ﴿كرامٍ﴾؛ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرَرَةٍ﴾: قلوبهم وأعمالهم. وذٰلك كلُّه حفظٌ من الله لكتابه؛ أن

---

(١) في (ب): «فيعمل».
(٢) في (ب): «لذلك منك».
(٣) في (ب): «ما».
(٤) في (ب): «إليه».
(٥) في (أ): إلى قوله: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾. وفي (ب): ذكر الآيات.

جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعلْ للشياطين عليه سبيلاً، وهٰذا مما يوجب الإيمان به وتلقِّيه بالقَبول.

﴿١٧ ـ ٢٣﴾ ولكنْ مع هٰذا أبى الإنسان إلَّا كُفوراً، ولهٰذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكفَرَه﴾: لنعمة الله، وما أشدَّ معاندته للحقِّ بعدما تبيَّن، وهو؛ ما هو؟ هو من أضعفِ الأشياء، خلقه الله من ماء مَهين، ثم قدَّر خلقه وسوَّاه بشراً سويًّا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة، ﴿ثم السَّبيلَ يَسَّرَه﴾؛ أي: يسَّر له الأسباب الدينيَّة والدنيويَّة، وهداه السبيل، وبيَّنه، وامتحنه بالأمر والنهي، ﴿ثم أماتَه فأقْبَرَهُ﴾؛ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعلْه كسائر الحيوانات التي تكون جِيَفُها على وجه الأرض، ﴿ثم إذا شاءَ أنشَرَه﴾؛ أي: بعثه بعد موته للجزاء؛ فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهٰذه التَّصاريف، لم يشارِكْه فيه مشاركٌ، وهو مع هٰذا لا يقوم بما أمره الله، ولم يقضِ ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصِّراً تحت الطلب!

﴿٢٤ ـ ٣٢﴾ ثم أرشده الله[1] إلى النظر والتفكُّر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكرَّرت عليه طبقاتٌ عديدةٌ ويسَّره [اللَّهُ] له؛ فقال: ﴿فلينظُرِ الإنسانُ إلى طعامه. أنَّا صَبَبْنا الماء صَبًّا﴾؛ أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة ﴿ثم شَقَقْنا الأرض﴾ للنبات ﴿شقًّا. فأنبَتْنا فيها﴾: أصنافاً مصنَّفة من أنواع الأطعمة اللذيذة والأقوات الشهيَّة، ﴿حبًّا﴾: وهٰذا شاملٌ لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿وعنباً وقضباً﴾: وهو القتُّ، ﴿وزيتوناً ونخلاً﴾: وخصَّ هٰذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها، ﴿وحدائق غُلْباً﴾؛ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفَّة[2]، ﴿وفاكهةً وأبًّا﴾: الفاكهة ما يتفكَّه فيه الإنسان من تينٍ وعنبٍ وخوخٍ ورمانٍ وغير ذٰلك. والأبُّ ما تأكله البهائم والأنعام، ولهٰذا قال: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾: التي خلقها الله وسخَّرها لكم. فمن نظر في هٰذه النعم؛ أوجب له ذٰلك شكر ربِّه وبذل الجهد في الإنابة إليه والإقبال على طاعته والتَّصديق لأخباره.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾[3] يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) في (ب): «ثم أرشده تعالى».
(٢) في (ب): «الملتفة الكثيرة».
(٣) في (أ): إلى آخر السورة. وفي (ب): ذكر الآيات.

﴿٣٣ ـ ٤٢﴾ أي: إذا جاءت صيحة القيامةِ التي تُصَخُّ لهولها الأسماع وتنزعج لها الأفئدة يومئذٍ؛ ممَّا يرى الناس من الأهوال وشدَّة الحاجة لسالف الأعمال؛ يفرُّ المرء من أعزِّ الناس إليه وأشفقهم عليه[1]؛ من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته؛ أي: زوجته وبنيه، وذٰلك لأنَّه ﴿لكلِّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه﴾؛ أي: قد أشغلته نفسُه، واهتمَّ لفكاكها، ولم يكنْ له التفاتٌ إلى غيرها. فحينئذٍ ينقسم الخلقُ إلى فريقين: سعداء وأشقياء: فأمَّا السعداءُ؛ فوجوههم ﴿يومئذٍ مسفرةٌ﴾؛ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجةُ مما عرفوا من نجاتهم وفوزهم بالنعيم، ﴿ضاحكةٌ مستبشرةٌ. ووجوهٌ﴾: الأشقياء ﴿يومئذٍ عليها غَبَرَةٌ. ترهقُها﴾؛ أي: تغشاها ﴿قترةٌ﴾: فهي سوداء مظلمةٌ مدلهمةٌ، قد أيست من كلِّ خير، وعرفتْ شقاءها وهلاكها. ﴿أولٰئك﴾: الذين بهٰذا الوصف، ﴿هم الكفرةُ الفجرةُ﴾؛ أي: الذين كفروا بنعمة الله، وكذَّبوا بآياته، وتجرَّؤوا على محارمِهِ[2]. نسأل الله العفوَ والعافيةَ؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ.

والحمد لله ربِّ العالمين

❁ ❁ ❁

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾[3] وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾.

﴿١ ـ ١٤﴾ أي: إذا حصلتْ هٰذه الأمور الهائلةُ؛ تميَّز الخلقُ، وعلم كلٌّ[4] ما قدَّمه لآخرته وما أحضره فيها من خيرٍ وشرٍّ، وذٰلك أنَّه إذا كان يومُ القيامةِ؛ تُكَوَّرُ

---

(١) في (ب): «وأشفقهم لديه».

(٢) في (ب): «وكذبوا بآيات الله وتجرؤوا على محارم الله».

(٣) في (أ): إلى قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾: وفي (ب) ذكر الآيات.

(٤) في (ب): «كلُّ أحد».